١٥٨٤١٥ - ٢٠٢٧٧٢٧

جامعة اصفهان
كلية اللغات الأجنبية
قسم اللغة العربية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها

الفكر الديني في الشعر الجاهلي

الأستاذ المشرف:
الدكتور نصرالله شاملي

الأستاذ المشرف المساعد:
الدكتور عبدالغني إيرواني زاده

الباحث:
سيد حسن فاتحي

ذوالقعدة ١٤٣١

وزارت علوم، تحقیقات و فناوری
پژوهشگاه علوم و فناوری اطلاعات ایران
مرکز اطلاعات و مدارک علمی ایران
IRANDOC

١٥٨٤١٥

١٣٩٠/٣/١٦

کلیه حقوق مادی مترتب بر نتایج مطالعات،ابتکارات و
نوآوری های ناشی از تحقیق موضوع این پایـان نامـه
متعلق به دانشگاه اصفهان است.

شیوه نگارش پایان نامه
رعایت شده است.
تحصیلات تکمیلی دانشگاه اصفهان

دانشگاه اصفهان
دانشکده زبانهای خارجی
گروه زبان عربی

پایان نامه دکتری رشته زبان و ادبیات عربی آقای سید حسن فاتحی

تحت عنوان

اندیشه دینی در شعر جاهلی

در تاریخ ۱۳۸۹/۷/۲۶ توسط هیأت داوران زیر بررسی و با درجه عالی به تصویب نهایی رسید

۱- استاد راهنمای پایان نامه دکتر نصر الله شاملی با مرتبه علمی دانشیار امضاء

۲- استاد مشاور پایان نامه دکتر عبد الغنی ایروانی زاده با مرتبه علمی استادیار امضاء

۳- استاد داور داخل گروه دکتر سید محمد رضا ابن الرسول با مرتبه علمی استادیار امضاء

۴- استاد داور داخل گروه دکتر سید رضا سلیمان زاده نجفی با مرتبه علمی استاد یار امضاء

۵- استاد داور خارج از گروه دکتر سید علی میر لوحی با مرتبه علمی استاد امضاء

۶- استاد داور خارج از گروه دکتر فرامرز میرزایی با مرتبه علمی دانشیار امضاء

امضای مدیر گروه

كلمة شكر و تقدير

أودّ هنا، بعد حمدالله و الثناء عليه، أن أعبّر عن عميق شكري و امتناني لكل من مدّ إليّ يدالعون حتّى تيسّر لي إنجاز هذا البحث. أخصّ منهم بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور نصر الله شاملي الذي رافق البحث منذ أن كان فكرة وليدة و دفعه بتوجيهاته السديدة و تشجيعاته الدائمة إلى أن اكتمل و وصل إلى ما وصل إليه من نضج وكمال.

كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف المساعد الدكتور عبدالغني إيرواني زاده الذي لم يألُ جهداً في مساعدتي و غمرني لطفه مدّة الدراسة خلقاً و علماً.

كما أقدّم شكري و امتناني إلى الأساتذة الكرام في لجنة المناقشة و قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة إصفهان: الدكتور سيد علي مير لوحي و الدكتور فرامرز ميرزايي و الدكتور محمد خاقاني والدكتور جعفر دلشاد و الدكتور سيد محمد رضا ابن الرسول و الدكتور سيد محمد رضا نجفي سلمانزاده و الدكتورة منصوره زركوب و الدكتورة نرگس گنجي الذين انتفعت بعلمهم و لم يبخلوا عليّ بمشورة أو مساعدة أو تشجيع.

و لايفوتني هنا أن أذكر بالشكر و التقدير عائلتي التي قدّمت لي الكثير من المساعدة، و عانت مثل ما عانيت لإنجاز هذا البحث، و انشغلت عنها أكثر بكثير خلال أعوام الدراسة.

فجزاهم الله عني خير الجزاء

الإهداء

إلى والـــديّ اللذين ربياني صغيراً و حملا همّي كبـــــيراً

إلى زوجـــــتي رفيـــــقة دربـــــــي المخلـــــصـــة

إلى ولديّ اللذين آمل أن يجدا طريقهما إلى الخير و السعادة

چکیده

اهدافی که این پایان نامه به دنبال تحقق آن ها بوده بدین شرح است:

۱- بررسی ادیان موجود در دوره جاهلی به منظور شناخت منابع و سرچشمه‌های اندیشه دینی در شعر جاهلی

۲- استخراج مصادیق ونمونه های اندیشه دینی در شعر جاهلی و تحلیل و دسته بندی آن‌ها

۳- بررسی میزان عمق اندیشه دینی در نزد شعرای دوره جاهلی و تناقض آن با عملکرد آن ها

۴- بررسی وجوه تشابه اندیشه دینی دوره جاهلی با اندیشه دینی اسلامی و مطالعه رابطه آن دو

اهالی شبه جزیره عربستان با ادیان توحیدی پیش از اسلام نظیر دین حنیفی، زردشتی، صابئی، یهودی و مسیحی هر چند به طور محدود وجزئی آشنایی داشته اند، از این رو طبیعی است که اندیشه دینی توحیدی در شعر آنان بازتاب هایی دست کم در برخی جنبه ها داشته باشد. اندیشه دینی در شعر دوره جاهلی در قالب عناوین متعدد ومتنوعی پدیدار می‌گردد، از جمله: خداوند و صفات او نظیر: علم، قدرت، عدل، جاودانگی و... همچنین افکار و عقاید دیگر مانند: قضا و قدر، مرگ، بعث و حشر، محاسبه روز جزا، روح، توکّل، برادری دینی، کراهت و بیزاری از خونریزی، داستان های دینی، شعائر مذهبی، اماکن مقدسه، ماه های حرام و آداب و رسوم حج همانند : احرام، تلبیه، طواف و قربانی....

مهمترین نتایجی که این پایان نامه به آن دست یافته از این قرار است:

۱-منابع و سرچشمه های اندیشه دینی در شعر دوره جاهلی متعدد و گوناگون است، از دین حنیفی گرفته تا زردشتی و صابئی و یهودی و مسیحی و از منظری دیگر می توان گفت این سرچشمه ها در حقیقت یکی است و آن عبارت است از همان رسالت آسمانی که هر از گاهی بر عهده پیامبری نهاده شده است.

۲-به کارگیری برخی از واژه های دینی در شعر جاهلی ضرورتاً به معنای ایمان و یا درک حقایق مشخص و معین دینی، به همان شیوه ای که ادیان آسمانی مدنظر دارند، نیست؛ بلکه ممکن است بر اثر مرور زمان و به مقتضای شرایط خاص زندگی جاهلی، صبغه دینی این واژه هارنگ باخته باشد و رنگ و بوی اجتماعی به خود گرفته وداخل در آداب و سنن مرسوم مردم دوره جاهلی شده باشند.

۳-ما همواره میان سخن وعمل شعرای دوره جاهلی توافق و سازگاری مشاهده نمی کنیم؛ بلکه، تناقض هایی در عقاید و رفتارشان می یابیم، به گونه‌ای که گاه سخن آنان از حنجره فراتر نمی رود. این امر گذشته از شرایط سخت و دشوار زندگی در عصر جاهلی می تواند به خاطر کاهش نفوذ دین در میان مردم، و گردن نهادن به عادت ها و سنت های جاهلی، و دور شدن از حقیقت و جوهر ادیان توحیدی باشد.

۴-در اندیشه دینی دوره جاهلی شباهت‌هایی با اندیشه دینی اسلامی می‌یابیم، بی آن که دارای کمال و پختگی اندیشه اسلامی و پیراستگی آن باشد، این امر به خاطر ادعای تاثیرگذاری اندیشه دینی پیش از اسلام بر اندیشه اسلامی و یا بالعکس نیست؛ بلکه، به خاطر آن است که سرچشمه اندیشه دینی در حقیقت یکی است و آن همان رسالت واحد آسمانی است که زنجیره آن به وسیله اسلام تکمیل شده است. همچنین اندیشه دینی از فطرت پاک الهی در نهاد انسان سرچشمه می گیرد؛ بنابراین، اگر انسان با فطرت پاک خود برخی از حقایق ایمانی را دریابد، این امر به همان فطرت پاکی که خداوند در نهاد وی به ودیعت نهاده است ارتباط پیدا می‌کند.

کلید واژه‌ها : دین، شعر، اندیشه دینی، دوره جاهلی

الملخص

كانت الغاية من هذه الأطروحة هي الوصول إلى الأمور التالية:

١-دراسة الأديان التي عرفتها الجاهلية لمعرفة مصادر الشعر الجاهلي

٢-استخراج شواهد الفكر الديني و نماذجه في الشعر الجاهلي و عرضها و تحليلها و تبويبها

٣-دراسة مدى عمق الفكر الديني عند الشعراء الجاهليين و تناقضه مع تصرفاتهم

٤-مقارنة الفكر الديني الجاهلي بالفكر الديني الإسلامي و دراسة العلاقه بينهما

إن الجزيرة العربية قد عرفت الأديان التوحيدية قبل الإسلام من الحنيفية إلى الصابئية و الزردشتية و اليهودية و النصرانية، و لو بشكل ناقص و بصورة جزئية وغير متكاملة. و قد تأثّر بعض الشعراء الجاهليين بهذا الفكر الديني على الأقل في بعض مظاهره، فمن الطبيعي أن يكون لهذا الفكر الديني أصداء في شعرهم.

الفكر الديني في الشعر الجاهلي يتمثل في مواضيع متعدده و متنوعة، منها: اللّه تبارک و تعالى و صفاته من علم و قدرة و عدل و خلود... و منها الأفكار و العقائد الدينية الأخرى التي تدور حول القضاء و القدر، الموت، البعث و الحشر، الحساب، الروح، التوكل، الأخوّة في الدين، كراهة سفک الدماء، القصص الدينية، و كذلک الشعائر الدينية، و الأماكن المقدّسة و الأشهر الحُرُم، و العادات و التقاليد في الحج كالإحرام و التلبية و الطواف و تقديم الأضاحي... من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الأطروحة هي:

١- مصادر الفكر الديني في الجاهلية ليست واحدة، بل هي متعددة من الحنيفية إلى الزردشتية و الصابئية و اليهودية و النصرانية فهي مزيج من كل فكر ديني دون تحديد، و من جهة أخرى يمكن القول إنّها واحدة في حقيقتها و هي الرسالة السماوية الواحدة و إن اختلفت الأطر و الأساليب.

٢- إنّ استخدام بعض الألفاظ الدينية في الشعر الجاهلي لايعني بالضرورة إيماناً أو إدراكا لحقائق دينية معينة و معروفة بنفس الطريقة التي قصدت إليها الديانات السماوية، بل يمكن أن تخلّت عن مفهومها الأول على مرّالزمن، واصطبغت بصبغة اجتماعية، و دخلت في سلک العادات و التقاليد بسبب ظروف عيشهم الخاصة.

٣- لم يكن هناک توافق دائم بين قول الشعراء الجاهليين و عملهم، و نجد تناقضاً بين معتقداتهم و تصرّفاتهم، فكان كلامهم لايتجاوز الحناجر أحياناً، و ذلک بسبب تقلّص نفوذ الدين في نفوسهم و استسلامهم للعادات و التقاليد الجاهلية، و ابتعادهم عن حقيقة الرسالات السماوية، فضلاً عن ظروف عيشهم القاسية.

٤- نجد في الفكر الديني الجاهلي ما يشبه الفكر الديني الإسلامي، دون أن يكون فيه كمال الفكر الإسلامي و نضجه و صفاؤه من كل شائبة، و ذلک لأنّ معين الفكر التوحيدي واحد، و هو الرسالة السماوية التي أكّد عليها الإسلام و اكتملت به. كما أنّ الفكر الديني ينبع من فطرة سليمة في النفس الإنسانية فطرت عليها، و إذا كان الإنسان يهتدي بفطرته إلى بعض حقائق الإيمان الأساسية فذلک مرتبط بهذه الفطرة السليمة التي غرسها الله تعالى في نفسه.

المفردات الرئيسية: الدين، الشعر، الفكر الديني، العصر الجاهلي

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحه**

المقدمة ..... و

الفصل الأول: الدين والحس الديني

١-١- الدين ١

١-١-١- تعريف الدين لغةً ١

١-١-٢- تعريف الدين اصطلاحاً ٤

١-١-٢-١- تعريف الدين عند الغربيين ٤

١-١-٢-٢- تعريف الدين عند علماء المسلمين ٦

١-١-٢-٣- مفهوم الدين في القرآن الكريم ٧

١-١-٢-٤- مفهوم الدين عند الجاهليين ٨

١-٢- الحس الديني ١٣

١-٣- حدود البحث ١٦

الفصل الثاني: الأديان التي عرفتها الجاهلية

٢-١- الحنيفية ٢٠

٢-١-٢- الحنيف في اللغة و التفسير ٢٢

٢-١-٣- الحنيف في رأي المستشرقين ٢٤

٢-١-٤- أصولها و معتقداتها ٢٦

٢-١-٥- الحنفاء في الجزيرة العربية ٢٨

٢-٢- الوثنية ٣٢

٢-٢-١- الشرك ٣٥

٢-٢-٢- عبادة الجنّ و الملائكة ٣٧

٢-٢-٣- عبادة الشجر و الحيوان ٣٨

٢-٢-٤-عبادة الأصنام و الأوثان ٣٩

٢-٢-٥- عبادة الأنصاب ٥١

٢-٢-٦- البيوت المقدّسة ٥٣

٢-٣- الزردشتية ٥٦

الموضوع	الصفحه

٢-٣-١- الديانة في إيران قبل ظهور زردشت ٥٦
٢-٣-٢- زردشت و الزردشتية ٥٧
٢-٣-٣- تصوّر الإله ٥٨
٢-٣-٤- النار المقدّسة ٦٢
٢-٣-٥- العالم الآخر ٦٣
٢-٣-٦- الكتاب المقدس ٦٤
٢-٣-٧- الزردشتية في الجزيرة العربية ٦٦
٢-٤- الصابئة ٦٨
٢-٤-١- الصابئون في اللغة ٦٨
٢-٤-٢- الصابئون في القرآن الكريم والسنة النبوية ٧٠
٢-٤-٣- الصابئون في اصطلاح الباحثين ٧٣
٢-٤-٤- معتقدات الصابئة ٧٨
٢-٤-٥- المحرمات عند الصابئة ٧٩
٢-٥- اليهودية ٨٠
٢-٥-١- اليهودية في القرآن الكريم ٨١
٢-٥-٢- اليهودية في الجزيرة العربية ٨٢
٢-٥-٣- اليهود و حياتهم الاجتماعية في الجاهلية و تأثرهم بالعرب و تأثيرهم ٨٩
٢-٥-٤- شعر اليهود ٩٥
٢-٦- النصرانية ٩٧
٢-٦-١- النصرانية في القرآن الكريم ٩٩
٢-٦-٢- النصرانية في الجزيرة العربية ١٠٠
٢-٦-٣- الفرق النصرانية في بلاد العرب ١٠٩
٢-٦-٤- معالم النصرانية في الشعر الجاهلي ١١١
٢-٦-٥- أثر النصرانية في الجاهليين ١٢٠

الفصل الثالث: المفاهيم الدينية في الشعر الجاهلي

٣-١- التأمّل عند الشعراء الجاهليين ١٢٨

الموضوع	الصفحه

٣-٢- الله ١٣٢
٣-٣- صفات الله ١٤٢
٣-٣-١- الخالق ١٤٢
٣-٣-٢- العالم ١٤٤
٣-٣-٣- القادر ١٤٧
٣-٣-٤- العادل ١٤٨
٣-٣-٥- العاصم ١٤٩
٣-٣-٦- الواقي ١٤٩
٣-٣-٧- المجازي ١٥٠
٣-٣-٨- المرتجى ١٥٣
٣-٣-٨-١- الدعاء ١٥٣
٣-٣-٨-٢- القسم ١٥٥
٣-٣-٨-٣- الوفاء بالقسم ١٥٩
٣-٣-٩- صاحب الإرادة المطلقة ١٦١
٣-٣-١٠- المعطي ١٦٢
٣-٣-١١- الخالد ١٦٤
٣-٣-١٢- المخلّد ١٦٤
٣-٣-١٣- المبارك ١٦٦
٣-٣-١٤- المعين ١٦٦
٣-٣-١٥- المفضل ١٦٧
٣-٣-١٦- المنعم ١٦٨
٣-٣-١٧- الرقيب ١٦٨
٣-٣-١٨- الكريم ١٦٩
٣-٣-١٩و٢٠- المميت والمحيي ١٧٠
٣-٣-٢١ و٢٢- الرحمن والغفور ١٧٠
٣-٣-٢٣- الرحيم ١٧١
٣-٣-٢٤- المهيمن ١٧١

الموضوع	الصفحه

٣-٣-٢٥و٢٦- المجيب و السميع ١٧١
٣-٣-٢٧ و٢٨ و٢٩- الفرد و الواحد و الصمد ١٧١
٣-٣-٣٠- الكافي ١٧١
٣-٣-٣١- الرزاق ١٧٢
٣-٣-٣٢و٣٣- المقدّس و ذوالجلال ١٧٢
٣-٣-٣٤- الرافع ١٧٢
٣-٣-٣٥- السَّليطط ١٧٢
٣-٣-٣٦- الآمر بالخير ١٧٣
٣-٣-٣٧- خوف الله ١٧٣
٣-٤- الموت ١٧٥
٣-٤-١- حتميّة الموت ١٧٦
٣-٤-٢- رغبة الإنسان في الحياة ١٧٧
٣-٤-٣- لا شيء ينجي من الموت ١٧٨
٣-٤-٤- تأجيل الموت ١٧٩
٣-٤-٥- الموت مقدّر ومكتوب ١٨٠
٣-٤-٦- الدعوة إلى التزوّد ١٨٢
٣-٤-٧- الدعوة إلى التروي من ملذات الدنيا ١٨٢
٣-٤-٨- صورة الموت ١٨٣
٣-٥- الحساب ١٨٤
٣-٦- الروح ١٨٦
٣-٧- البعث و الحشر ١٩٠
٣-٨- القضاء و القدر ١٩٣
٣-٩- التوكّل ١٩٥
٣-١٠- الشعائر الدينية ١٩٦
٣-١٠-١- الكعبة ١٩٦
٣-١٠-٢- الأماكن المقدّسة ١٩٨
٣-١٠-٣- الحجّ و عاداته و تقاليده ١٩٩

الموضوع | الصفحه

٣-١٠-٣-١- الطواف ٢٠٠
٣-١٠-٣-٢- الإحرام ٢٠٢
٣-١٠-٣-٣- التلبية ٢٠٢
٣-١٠-٣-٤- القرابين ٢٠٥
٣-١١- الأشهر الحُرُم ٢٠٧
٣-١٢- النسيء ٢٠٩
٣-١٣- الصلاة على الميت ٢١١
٣-١٤- الأخوّة في الدين ٢١٢
٣-١٥- كراهة سفك الدماء ٢١٣
٣-١٦- القصص الدينية ٢١٤

الفصل الرابع: ملاحظات حول الفكر الديني عند الجاهليين

٤-١- مصادر الفكر الديني الجاهلي ٢٢٧
٤-٢- مدى عمق الفكر الديني الجاهلي ٢٢٨
٤-٣- التناقض في الفكر الديني الجاهلي ٢٣١
٤-٣-١- الأديان ٢٣١
٤-٣-٢- الله ٢٣٢
٤-٣-٣- صفات الله ٢٣٢
٤-٣-٤- الأشهر الحرم ٢٣٢
٤-٣-٥- الشعائر الدينية ٢٣٣
٤-٣-٦- كراهة سفك الدماء ٢٣٣
٤-٤- الفكر الديني بين الجاهلية والإسلام ٢٣٤
٤-٥- نحل الشعر الجاهلي ٢٣٦
٤-٦- الفكر الديني الجاهلي بين الخاص والعام ٢٣٩
نتائج البحث ٢٤١
المصادر و المراجع ٢٤٤

مقدمة

نؤمن بالله سبحانه و تعالى و بملائكته و كتبه و رسله، لانفرّق بين أحد من رسله، و نـــؤمن باليوم الآخر. و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين، و على أهل بيته الطيبين الطاهرين.

إن البحث عن الفكر الديني عند أي شعب من الشعوب أو جماعة من الجماعات، و حتّى عند الأفراد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبحث عن أعمق المشاعرالإنسانية في هذا الكون. إذ أنّ هـــذا الفكـــر الديني ينبعث عن فطرة في النفس الإنسانية فطرت عليها، و تمثّلت في لجوء الإنسان إلى من يحميـــه من حوادث الدهر و نوائبه، و يساعده في مايسعى إليه و يرغب فيه، أو يخاف منه و يهابه.

هذا الشعور الفطري في نفس الإنسان دفعه إلى أن يعبد حاميه و ناصره، و كان هذا المعبـــود مرّة الشمس أو القمر أو النجوم، وكان مرّة ثانية البرق أو الرعد أو الأنهار أو البحار، و كان مـــرّة ثالثة شجرة أو حجراً، كما كان تمثالاً أو صورةً، أو ما عدا ذلک من المظاهر التي ظنّ الإنـــسان أنّ قوى عالية تكمن فيها فتسيطر على هذا الكون بكلّ مافيه.

و ظهرت الرسالات السماوية، و شقّت حجب الظلام أمام الإنسان في هذا الكون و أنـــارت له الطريق، و أخذت بيده في طريق الخير، و خوّفته من الشرّ و نهته عنه، و من هنا نشأ الاعتقاد بأنّ أبا البشر آدم (ع) كان نبياً أيده الله تعالى بالنبوّة ليكون المجتمع الإنساني منذ البداية قائمـــاً علـــى أسس سليمة واضحة.

ثمّ ابتعد الإنسان عن الأديان و الشرائع شيئاً فشيئاً، فتاه في بحار الظلمات، و أخطـــأ ســـبيل الصواب، و لكن بقي فيه فطرته الدينية السليمة تقرّبه من الخير و تبعده عن الشر، و تـــوحي لـــه بالأفكار السليمة، و يستجيب الأنسان بهذه الفطرة للحق و الخير و الفضيلة. إذن، في مثـــل هـــذه الظروف و الأحوال يجب أن نتصوّر جاهلية العرب و ما فيها من جهل و ضلال، كمـــا يجـــب أن نتصوّر ما في نفوس الجاهليين من فطرة سليمة تترع نحو الخير و الفضيلة.

و بما أن الشعر ديوان العرب و مرآة حياتهم فقد عبّروا فيه عن إيمانهم و عقائدهم، و استطاع أن يصل إلينا بعضه و يحفظ من الضياع و النسيان، فمن ينظر في الشعر الجـــاهلي يـــشاهد تلـــک الفطرة السليمة و ذلک الفكر الديني في شعر عدد غير قليل من الشعراء مثل: زهير ابن أبي سلمى، النابغة الذبياني، عامربن الطفيل، عبيدبن الأبرص، أوس بن حجر، عمرو بن كلثوم التغلبي، الحارث بن حلّزة اليشكري، قيس بن الخطيم، طفيل الغنوي، عمرو بن قميئة، ورقة بن نوفل، زيد بن عمرو بن نفيل، عدي بن زيد، أمية بن أبي الصلت، السموأل بن عاديا و الأعشى... فدرست دواوينـــهم بحثاً عن ذلک الفكر الديني، و حتى يكون البحث متكاملاً فقد راجعت إلى امهات مصادر الشعر

الجاهلي، أذكر منها: *الأصمعيات*، و *المفضليات*، و *جمهرة الأشعار العرب* و *شروح المعلّقات السبع* و *شعراء النصرانية قبل الإسلام* و غيرها من كتب الأدب و التاريخ، و وقفت عند شعرهم الـذي وجدت فيه فكراً دينياً يجب التوقف عنده. كما اقتضت هذه الدراسة المراجعة إلى بعض الكتـب و المؤلفات الّتي تناولت موضوع الديانات التي عرفتها الجاهلية بالتفصيل مما ذكرناه في قائمة المصادر و المراجع.

و في رأيي أنّ البحث عن الفكر الديني في الشعر الجاهلي له شأن كـبير في فهـم عقائـد الجاهليين و تصوّراتهم الدينية، و لاسيما أنني لم أجد دراسة مستفيضة حول هذا الموضوع ؛ فبعـد النظر في المؤلفات و الدراسات السابقة رأيت أنها تنقسم إلى قسمين: قسم منها تنـاول موضـوع تاريخ العصر الجاهلي و الفكر الديني فيه بشكل عام، و أشير ضمن مباحثه العامة إلى بعـض مـن شواهد الفكر الديني و نماذجه إشارة موجزة لا تتجاوز عدّة صفحات ذكرت فيها بعض الأبيـات التي تحمل شيئا من الفكر الديني في طيّاتها، دون إطناب و لا تفصيل في بيان شواهد الفكر الديني و نماذجه في الشعر الجاهلي و تحليلها و تبويبها، الأمر الذي جعلتة مدار بحثي و غايته الأولى. و مـن أهم هذه الدراسات كتاب « *المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام* » للدكتور جواد علي، الـذي أعطى فيه تفصيلاً تاريخياً قيّماً عن ديانات الجاهلين. و قسم منها اهتمّ بجانب خـاص مـن هـذا الموضوع فقط، كمـا نـرى أن الأب لـويس شـيخو في كتابيـه « *شـعراء النـصرانية* » و « *النصرانية و آدابها بين عرب الجاهلية* » قدتطرق إلى الديانة النصرانية و شعر شعرائها و غفل عن الديانات الأخرى. كذلك بعض الدراسات عالجت موضوع القيم الأخلاقية في الأدب الجاهلي دون الإشارة إلى مفاهيم دينية أخرى، وكما نعلم أن القيم الأخلاقية تعتبر جزءاً صغيراً من الفكر الديني، و الفكر الديني أوسع بكثير من المضامين الأخلاقية، و يشمل موضوعات متعددة خارجة عن نطاق المضامين الأخلاقية.

و قد أفدت من هذه الدراسات خاصة في الفصل الثاني من هذه الرسالة في الدراسة التاريخية للأديان التي عرفتها الجاهلية، كما أفدت منها بمقدار المنهجية في العمل و احتذاء بعض الأساليب.

و أمّا هذه الدراسة فتتميز عن سابقاتها بأنّها اهتّمت خاصة بدراسة الفكر الديني في الـشعر الجاهلي، و استخراج شواهده و نماذجه، و تصنيفها و تبويبها تحت عناوين معينـة و متعـدّدة، ثم تحليله و نقده و بيان مدى عمقه و تناقضه و مقارنته بالفكر الديني الإسلامي و علاقته به أحيانـاً، فضلاً عن دراسة الأديان التي عرفتها الجاهلية لمعرفة مصادر الفكر الديني الجاهلي.

أمّا عن دوافعي لاختيار هذا الموضوع الذي لايخلو من الصعوبة و يحتاج إلى كثير من الدقة و الحذر، فهو ماشاع و انتشر من بعض المستشرقين والباحثين العرب من الأفكار التي لاتخلو من التحيز و التطرف

أحياناً، و فيها تشويه للواقع، و الوقوف من الإسلام موقفاً عدائياً، و تصويره خصماً للديانات السماوية حيناً، و تصويره معتدياً يأخذ من أصحاب الرسالات السماوية أمجادهم، و يحتل بلادهم، كما نـرى في كتاب « *النصرانية و آدابها بين عرب الجاهلية* » للأب لويس شيخو.

و من الدوافع أيضا موضوع الأديان التي سبقت الإسلام و تأثيرها في الفكـر الـديني الجـاهلي، وكذلك معرفة تأثير الفكر السابق للإسلام في الفكر الديني الاسلامي- إذا افترضنا وجود هذا التـأثير- أو أنّ الدين الاسلامي لم يتأثر بشيءٍ مما سبق، و إنما هو الموثّر في جلاء غموض الفكر الديني السابق، و ما شاب العقائد الدينية السابقة من رواسب الجاهلية و ما أصابها من تحريف أصحاب هـذه العقائـد أنفسهم، إذ أن الحقيقة قد تجلّت في الإسلام خالصة من كل تأثير، و من كل تحريف إنساني.

ثم إنّي قدتوخّيت من هذه الأطروحة الإجابة عن الأسئلة المطروحة في المشروع و هي:

١- ما هي الأديان التي عرفتها الجاهلية كمصادر الفكر الديني في الشعر الجاهلي؟

٢- ما هي شواهد الفكر الديني و نماذجه في الشعر الجاهلي؟

٣- كم كان مدى عمق الفكر الديني عند الجاهليين؟

٤- هل كان هناك تناقض بين معتقدات الجاهليين و تصرفاتهم؟

٥- هل كان الفكر الديني الإسلامي متأثراً بالفكر الديني السابق للإسلام و ما هي العلاقة بين الفكرين؟

و قد عملت مجتهداً على الإجابة عن هذه الأسئلة، و كان منهجي في البحث توصـيفياً تحليليـاً اعتمدت فيه على المستندات و الوثائق الموجودة في دواوين الشعراء الجـاهليين و مختلـف المـصادر و المراجع التي تمتّ بصلة إلى العصر الجاهلي و استقيت منها المواد اللازمة للموضوع، و قمت بالتحليل و التعليق على بعضها، فتصنيفها و تبويبها، ثم الاستنتاج منها. و كان خير عون لي على ذلـك *القـرآن الكريم* الذي يعدّ أوثق مصدر يجلو عقيدة الجاهليين وتصوراتهم الدينية. كذلك أفدت من بعض الكتب المعاصرة التي تعرضت لديانة الجاهليين، و لاسيما كتاب «*المفصل في تاريخ العـرب قبـل الإسـلام*» للدكتور جواد علي.

و قد قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول:

تناولت فى الفصل الأول مقدمات عامة عن الدين و الحس الديني و بيّنت فيه تعريف الدين لغـة و اصطلاحاً و ذكرت بعض تعاريف الدين عند الغربيين، و انتقلت إلى مفهوم الدين في *القرآن الكـريم* و مفهوم الدين عند الجاهليين، ثم انتهيت إلى الحس الديني عند الإنسان.

و في الفصل الثاني تحدّثت عن الأديان التي عرفتها الجاهلية، و هي تشمل الوثنيـة و الحنيفيـة و الزردشتية و الصابئية و اليهودية و النصرانية، و تطرقت في الحديث عن كل من هذه الـديانات إلـى نشأتها و معتقداتها و انتشارها في الجزيرة العربية و تأثيرها في الجاهليين، كما ذكرت نماذج من الـشعر

الجاهلي انعكست فيها آثار تلك الديانات. و ذلك كلّه بهدف معرفة مصادر الفكر الديني في الشعر الجاهلي.

و في الفصل الثالث عالجت المفاهيم الدينية في الشعر الجاهلي و عرضت نماذجها، و صنفتها تحت عناوين معينة و متعددة، منها : الله تعالى و صفاته من علم و قدرة و عدل و خلود... و منها الأفكار و العقائد الدينية الأخرى الّتي تدور حول التوكّل، و الروح، و القصص الدينية، و كذلك الشعائر الدينية، و الأشهر الحُرُم، و الأماكن المقدسة، و تقاليد الحجّ و عادته كالإحرام و الطواف و التلبية و تقديم الأضاحي... مع تحليلها و مقارنتها أحياناً بالفكر الديني الإسلامي.

و أمّا في الفصل الرابع فقد وقفت فيه وقفة قصيرة لتقييم ما وجدته من الفكر الديني في الشعر الجاهلي، و أبديت ما عندي من ملاحظات حوله، و حاولت أن أدرس هذا الفكر الديني باحثاً في أصوله و مصادره و مدى عمقه في نفوس الجاهليين، و تناقضه مع تصرفاتهم، و مقارنته بالفكر الديني الإسلامي و علاقته به، كذلك وقفت وقفة قصيرة لاستبانة ما هو صحيح مما هو منحول من هذا الشعر، فتحدّثت عن موضوع نحل الشعر الجاهلي.

لقد حاولت أن أنهض بهذا العبء، و أنا عالم بثقله، فإن كثيراً من معالم تلك الديانات لايزال يغمرها غير قليل من الظلام، إمّا لقلّة ما بين أيدينا من التراث، و إمّا لأنّ الباحثين لم يكشفوا مناجمها كشفاً كافياً. و لعل الشكوك الّتي أثارها مرجليوث و طه حسين و أمثالهما، و التي تزعم أن الشعر الجاهلي لايعكس الحياة الدينية عند العرب الجاهليين، كان لها نصيب في إعراض الباحثين عن الخوض في هذا الموضوع، كما كان للصعوبة التي تكتنف تصورات الجاهليين في الأدب الجاهلي نصيب آخر في عدم الإقدام على مثل هذا البحث.

ولا أزعم أن هذا البحث يحمل الصورة الحقيقة و الأخيرة للفكر الديني في الشعر الجاهلي، و إنما أعترف أنه الصورة التي استطعت رسمها مع ما بذلت من جهد و تحرّيت من دقّة، ففي الحقيقة انّ بحثاً من هذا النوع واسع جدّا سعة شبه جزيرة العرب، و مسلكه وعرٍ وعورة مسالك صحرائها، و لابدّ أن يستوفى حقّه بالاستقصاء و التحليل للوصول إلى دراسة موضوعية تضمّ عدة مجلدات تحيط بهذا الموضوع و توفيه حقّه. و هذا البحث أصغر من أن يتضمّن بمحتواه الفكر الديني الجاهلي بكامله، بل إنّه نظرة سريعة إلى وجود الأديان و تنوعها و الفكر الديني المنبعث عنها و المنعكس في الشعر الجاهلي خلال تلك المرحلة. و آمل أن يكون هذا البحث تمهيداً لدراسات أوسع في المستقبل، و ذلك من خلال إضافة ورقة إلى الأوراق السابقة التي تناولت هذا الموضوع.

و أخيراً أرجو أن يكون هذا البحث قد حقق الهدف المنشود منه، فإن وفقت فهـــذا غايـــة مـــا أرجوه، و إلّا فحسبي أنّني بذلت كل ما في نفسي من جهد و طاقة، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب، و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

همدان

٢٣خرداد ماه ١٣٨٩ هـــ. ش

٣٠ جمادى الثانية ١٤٣١ هـــ. ق

سيد حسن فاتحي

الفصل الأول

الدين و الحس الديني

١-١- الدين

١-١-١- تعريف الدين لغة

من أراد أن يعرف كنه أي دين من الأديان كالإسلام أودين المسيحية أو اليهودية أو المجوسية أو الوثنية، أو غيرها من الأديان يجب عليه قبل كل شيء أن يعرف المعنى الكلي الّذي يجمعها و القدر المشترک الذي تنطوي عليه في جملتها، إذ أنّه من الواضح - و إن تفاوتت الأديان في نفسها أو في مصادرها أو في أهدافها أو في قيمها - أنّ كلّها يجمعها اسم الدين فلابد أن تكون هناک وحدة معنوية بينها تجعلنا أن نعبر عنها بهذا الاسم المشترک. فما هي تلک الوحدة؟ و ما هو الدين؟

للإجابة عن هذا السؤال لابد لنا قبل كل شيء من الرجوع إلى معاجم اللغة العربية لنجد ما دونه اللغويون من وجوه الاستعمال لهذه المادة. لكننا نعرف مقدار الصعوبة التي يعانيها المراجعون لهذه المعاجم، و مبلغ إخفاقهم في استنباط المعاني المحدّدة من تعريفاتها. لأنها وضعت لضبط الألفاظ، لا لتحديد المعاني و أنها وضعت أيضا لسرد المترادفات و المتقابلات و تقديمها لمن يفرض فيه أنه يعرف معنى كل مفرد على حدته.

مثلا إذا حاولنا أن نعرف نعت طير أو حلية حيوان أو وصف نبات أو موقع بلد و نفتح المعجم في باب الاسم المطلوب نرى فيه هذه العبارات: «طائر معروف»، «حيوان معروف»، «نبات معروف»، «بلد معروف». ذلک هو الجواب الذي نصل اليه في غالب الأمر و هذه المعاجم لا تبالي في كثير من الأحيان أن تعرف الشيء بنفسه أو بأنه غير ضده، هكذا: «البلاغ» ما يتبلغ به. و «الدواء» ما يتداوى به و «الدين» ما يدان به. أويقال لنا: إن الدين هو الملة. فإذا رجعنا إلى كلمة الملة في بابها قيل لنا: إنها هي الدين. وكذلک يقال لنا في شرح لفظ «الحلال» إنه ضد الحرام. و في تعريف «الحرام» إنه ضد الحلال و هكذا.

و هذه الصعوبات و المشاكل نجدها في المادة التي نحن بصددها، فالذي يراجع في هذه المادة إلى *لسان العرب* أو *القاموس المحيط*، أو غيرهما يضل في بيداء، و يخيل إليه أن هذه الكلمة الواحدة يصح أن تستعمل في المعاني المتباعدة، بل المتناقضة. فالدين: هو المُلک، و هو الخدمه، و هو العز، و هو الذل، و هو الإكراه، و هو الإحسان، و هو العادة، و هو العبادة، و هو القهر و السلطان، و هو التذلل و الخضوع، و هو الطاعه، و هو المعصية، و هو الإسلام و التوحيد، و هو اسم لكل ما يعتقد، أو لكل ما يتعبد الله به... إلخ (راجع: مادة دي ن في *لسان العرب* و *القاموس المحيط* و *تاج العروس* و *المعجم الوسيط*).

و الواقع أننا إذا نظرنا في اشتقاق هذه الكلمة و وجوه تصريفها نرى من وراء هذا الاختلاف الظاهر تقاربا شديدا، بل صلة تامة في جوهر المعنى، إذ نجد أن المعاني الكثيرة تعود في نهاية الأمر إلى ثلاثة معان تكاد تكون متلازمة. بل نجد أن التفاوت اليسير بين هذه المعاني مردّه في الحقيقة إلى أن الكلمة التي يراد شرحها ليست كلمة واحدة بل ثلاث كلمات، أو بعبارة أدقّ، أنها تتضمن ثلاثة أفعال. بيان ذلک أن الكلمة «الدين» تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: «دانه يدينه» وتارة من فعل متعدّ باللام: «دانَ لَهُ» و تارة من فعل متعد بالباء: «دان به» وباختلاف الاشتقاق يختلف المعنى الذي تعطيها الصيغة. فبناء على هذا لكلمة الدين ثلاثة معان و هي:

١-١- فإذا قلنا «دانه دينا» أردنا بذلک أنه ملكه و حكمه و ساسه و دبره و قهره و حاسبه و قضى في شأنه و جازاه و كافأه. فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملک و التصرف بما هو شأن الملوک من السياسة و التدبير و الحكم و القهر والمحاسبة و المجازاة. من ذلک قوله تعالى: «مالک